

## الردع خيار أميركي أمام تصعيد الميليشيات في العراق

بغداد - يشكل القصف الأميركي الذي استهدف مؤخرا الحدود السورية العراقية رسائل تهديد واضحة للميليشيات الشيعية في العراق التي تعمل على تقويض مصالح الولايات المتحدة بالمنطقة بتوجيهات إيرانية، وأنها لن تقلت من العتاب في حال استمرت في خوض الصراع بالوكالة تنفيذًا لأجندة النظام الإيراني.

وفيما تعتقد واشنطن أن المزيد من الضربات على مواقع المجموعات المسلحة الحليفة لإيران تكفي لردعها عن تهديد المصالح الأميركية في العراق، وإضعاف تلك المجموعات لدعم جهود رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي في استعادة قرار مؤسسات الدولة وفرض القانون، إلا أن جهود الكاظمي المدعومة أميركيا لم ترتق إلى مستوى تحقيق أهدافها في حصر السلاح أو فرض الأمن والاستقرار.

وترتبط المجموعات الشيعية المسلحة الحليفة لإيران تنظيميا وإداريا بهيئة الحشد الشعبي وتلقى رواتب مقاتليها من ميزانية الدولة العراقية.

ومنذ وصول بايدن إلى البيت الأبيض يناير الماضي، تعرضت قواعد عراقية تستضيف أميركيين وأرتال الدعم اللوجستي، لأكثر من أربعين هجوما بالصواريخ والطائرات المسيرة وبالعربات الناقصة، منها خمس هجمات بطائرات مسيرة، ردت عليها الولايات المتحدة بضربتين جويتين "محدودتين" على الحدود العراقية السورية وداخل سوريا.

لكن ضربات 25 فبراير الماضي، التي جاءت ردا على ثلاث هجمات صاروخية تعرضت لها القواعد الأميركية في العراق، تزامنت مع مبادرة الولايات المتحدة للتفاوض مع إيران لقبولها بالعودة إلى الامتناع للاتفاق النووي، مقابل رفع تدريجي للعقوبات الأميركية، وهو ما رفضته طهران.

لذلك فإن الضربات الأميركية على المجموعات المسلحة لم تؤثر على مفاوضات إيران مع المجموعة الدولية في فيينا، التي استمرت حتى الجولة السادسة في 20 يونيو الماضي، ومتوقع استئنافها أوائل يوليو الجاري.

وهذا لا يفي حقيقة أن إيران تحاول دون جدوى الاستثمار في توظيف النشاطات المسلحة للمجموعات شبيهة العسكرية الحليفة لها كآوراق سياسية في مفاوضاتها مع الولايات المتحدة والمجموعة الدولية حول ملفها النووي، أو للضغط على دول إقليمية مثل إسرائيل والسعودية.

وتعطي الضربات الأميركية على الحدود العراقية وفي الداخل السوري المزيد من اليقين برغبة الولايات المتحدة في الاتجاه نحو تخفيف حدة التوترات التي يمتنع الطرفان عن التصعيد والنزاع إلى مواجهات مفتوحة، حيث يدرك كلاهما أنه ليس من مصلحتهما الذهاب أبعد من هذه الهجمات الحكومة بسقف محدد.

ولا تنوي الولايات المتحدة الدخول في مواجهات مفتوحة مع المجموعات المسلحة الحليفة لإيران، أو توسيع نشاطاتها العسكرية في العراق أبعد من مهمتها بمساعدة القوات الأمنية العراقية في الحصر على تنظيم داعش. لذلك ستقتصر ردود الفعل الأميركية على توجيه ضربات جوية "محدودة جدا" تستهدف المجموعات المسلحة بعد هجمات تتسبب بفقدان أرواح جنود أو متعاقدين أميركيين في العراق.



تدريب أميركي شديد اللهجة ضد الميليشيات العراقية



إشارات التضامن المصرية في مواجهة التهديدات الإيرانية لم تعد كافية

## كيف ستوازن القاهرة بين علاقتها مع واشنطن وصمتها حيال طهران

طموح مصر في المنطقة يقودها إلى لقاء إيران في منتصف الطريق

وتحقيق الحد الأدنى من الرغبات المصرية في عدم الاشتباك.

كما أن الحفاظ على علاقات مصر مع دول الخليج كانت كابسا ثانيا لعدم التجاوب مع أي إشارات إيرانية إيجابية، فكل توجه نحوها كان سينعكس سلبا على دول الخليج التي تربطها بمصر مجموعة كبيرة من المصالح المتشابكة، وبالتالي كان الحل في تبريد العلاقات مع طهران لأقصى مدى، بما يجعل الباب مفتوحا وخط الرجعة موجودا عندما تتحسن الأوضاع، ما يعني أنها ورقة قد ياتي يوم لاستثمار فيها سياسيا.

مرت إيران الكثير من مخططاتها في دول عربية عدة، في مقدمتها العراق وسوريا، ولم تبد مصر غضبا عمليا أو استعدادا للتصدي للاستحواذ على هذه الدولة الحيوية أو غيرها، ربما بسبب التكاليف الجسيمة التي تصاحبها، وربما كخافعة التحديتات الإقليمية آنذاك، وربما لاستمرار القناعة التي وصلت إلى حد اليقين بتجنب تحويل الموقف من إيران إلى عداء على غرار تركيا، ما يمثل إرهاقا للجهود المصرية لترميم العلاقات.

دفعت عوامل مختلفة إلى صمود معادلة الصمت المصري حيال إيران أمام الرياح العاتية لفترة طويلة، بينها الحفاظ على هامش الحركة الحرة الذي ابتقته القاهرة وأبعدها عن الرضوخ لضغوط قوية لحسم علاقاتها بطهران، لكن من الضروري أن ينتهي ذلك إذا تطورت العلاقات مع واشنطن واستردت عافيتها مع مصر على الصعيد الإقليمي.

علاوة على أن الطموح المصري للقيام بدور مؤثر حتما سوف يقودها إلى لقاء إيران في منتصف الطريق، بحكم تدخلها في الكثير من الدول العربية، فتصفيته الأزمات واستعادة الأمن والاستقرار كهممة في المخيال المصري المتكتم مواجهة التمدد الإيراني، وهنا تكمن العقدة الرئيسية، فالقاهرة لن تستطيع التكيف مع طهران التي تريد فرض رؤيتها على دول المنطقة بالخشونة، ولن تتمكن من استمرار التفاهات الخلفية معها لأن هناك ضريبة سوف تضطر مصر إلى دفعها.

كلما ضاعفت القاهرة انخراطها في الأزمات وتوسعت في عمليات البحث عن حلول سياسية لها كمنهج تبتناه في إدارة سياستها الخارجية، كلما وجدت أمامها إيران، الأمر الذي يشير إلى أن المعادلة التي أقامتها على مدار سنوات ستدخل عليها حتما تعديلات، أهمها أن سياسة التوازن التي حافظت عليها بين الولايات المتحدة والخليج وإيران لن تكون مفيدة لاحقا، وقد تأتي على حساب طهران التي كانت تنظر لها القاهرة كخصم تتحاشى الارتباط به.

الخليج باعتباره جزءا من أمن مصر، وهكذا حاولت المنظومة الرسمية في الدولة طمأنة دول الخليج لظفيا بعيدا عن الدخول في مواجهة إيران التي ضاعفت من دعم أدواتها العسكرية في كل من العراق وسوريا ولبنان واليمن وقطاع غزة.

يفسر مراقبون تجاهل إيران بأنها أوقفت تدخلها في مصر بعد سقوط الإخوان، وتحاشت الاحتكاك بها في مناطق نفوذها، بمعنى أن التقاطعات السلبية لم تهدد المصالح المصرية مباشرة، وحافظ كل طرف على الحدود التي لا تسمح بتوريطه في صدام يمكن أن يكون مضرا للطرفين، وحتى حركة حماس التي تسيطر على قطاع غزة القريب من الحدود المصرية اكتفت بطهران بدعمها ماديا.

لدى النظام المصري، منذ عهد الرئيس الراحل حسني مبارك، قناعة بعدم تضخيم الأزمات مع إيران، ومع أن أدبياتها السياسية تتنافر تماما مع نظيرتها المصرية، غير أن حالة العداء لم تصل إلى العلنية حتى الآن، وربما تكون موجودة في الخلفية دون أن تطفو على السطح أو تتوتر العلاقات معها علانية، وحافظ الجانبان على درجة عالية من الهدوء وابتعدا عن المناكفات السياسية والأمنية، مع أن إيران كانت مستعدة لتوسيع تدخلاتها في مصر عقب ثورة 25 يناير 2011، وبعد وصول الإخوان للحكم.

أنهى خروج الإخوان من السلطة بموجب ثورة 30 يونيو سنة 2013 الكثير من الأحلام التي راхنت عليها طهران للتدخل في الشؤون المصرية والتعمد في نسجها السياسي والاجتماعي، وتجاهلت القاهرة فكرة تصفية الحسابات معها لأن أولوياتها كانت تقوم على إعادة ترتيب الأوضاع الداخلية وخفض مستوى التحديات الإقليمية، وبدت إيران بعيدة عن أولويات مصر في مرحلة إعادة البناء.

تعرضت القاهرة لانتقادات ضمنية طوال هذه المرحلة من بعض حلفائها في منطقة الخليج الذين ضجوا من تدخلات إيران وتهديداتها المباشرة للأمن الإقليمي، واكتفت مصر بإرسال إشارات التضامن الشفهي والتأكيد على عدم مساس بأمن

لطالما غضت القاهرة النظر عن التهديدات الإيرانية للمنطقة العربية، فيما يفسر مراقبون هذا الصمت بقدرتها على تقويض مناورات النظام الإيراني في الداخل عقب نجاحها في قصف صواريخ الإخوان منذ اعتقال الرئيس عبدالفتاح السيسي الرئاسة وأنشغالها بترتيب أوضاعها الداخلية. لكن اليوم ومع استعادة الدبلوماسية المصرية لعافيتها وتحويل الدول الكبرى وتحديدا الولايات المتحدة على دور مصري ناجح في حل الملفات المشتعلة في المنطقة باتت القاهرة مطالبة بتحديد موقفها بوضوح من طهران وعدم الاكتفاء بإشارات التضامن في مواجهة التهديدات.

طهران على حاله، حيث تخوض واشنطن معركة سياسية كبيرة لتقويض قوة إيران النووية ونفوذها الإقليمي، وتعيد ترتيب العلاقات مع حلفائها في المنطقة بما يخدم مصالحهم، وقد تكون إيران واحدة من القضايا التي يجب التفاهم حولها بين مصر والولايات المتحدة وتحديد اليات مشتركة للتعاظمي معها.

لذلك سيكون على القاهرة تحديد موقفها بوضوح من إيران التي تبدو شبيهة غائبة عن رزمة الحسابات المصرية المعلنة حتى الآن، وربما تكون موجودة في الخلفية دون أن تطفو على السطح أو تتوتر العلاقات معها علانية، وحافظ الجانبان على درجة عالية من الهدوء وابتعدا عن المناكفات السياسية والأمنية، مع أن إيران كانت مستعدة لتوسيع تدخلاتها في مصر عقب ثورة 25 يناير 2011، وبعد وصول الإخوان للحكم.

أنهى خروج الإخوان من السلطة بموجب ثورة 30 يونيو سنة 2013 الكثير من الأحلام التي راхنت عليها طهران للتدخل في الشؤون المصرية والتعمد في نسجها السياسي والاجتماعي، وتجاهلت القاهرة فكرة تصفية الحسابات معها لأن أولوياتها كانت تقوم على إعادة ترتيب الأوضاع الداخلية وخفض مستوى التحديات الإقليمية، وبدت إيران بعيدة عن أولويات مصر في مرحلة إعادة البناء.

تعرضت القاهرة لانتقادات ضمنية طوال هذه المرحلة من بعض حلفائها في منطقة الخليج الذين ضجوا من تدخلات إيران وتهديداتها المباشرة للأمن الإقليمي، واكتفت مصر بإرسال إشارات التضامن الشفهي والتأكيد على عدم مساس بأمن



محمد أبو الفضل كاتب مصري

نجت القاهرة من مطبات إقليمية ودولية عديدة الفترة الماضية وأعدت صياغة جوانب كبيرة في علاقاتها مع قوى مختلفة، وفي خضم المطبات والصياغة بدت إيران غائبة عن المعادلة الأمن القومي العربي ورفض التدخلات الرسمية في غالبية المحطات التي يأتي فيها ذكر تجاوزات طهران باستثناء الاستنكار والرفض التقليدي في إطار البيانات الصادرة عن الاجتماعات الوزارية تحت سقف جامعة الدول العربية.

وزير الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي بغداد، الأحد الماضي، وحضر قصة جمعه مع الملك الأردني عبدالله الثاني ورئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي، وحوى البيان الختامي بنودا تؤكد على مكافحة الإرهاب وأهمية توافر الأمن والاستقرار والتعاون الإقليمي من دون الحديث عن إيران التي تلعب دورا قاتما في هذه الملفات.

قبل وائشاء وبعد زيارة السيسي لبغداد لم تنسر القاهرة باي عبارة لإدانة التدخل الإيراني السافر في العراق، والذي يهيمن على الحل والعقد في غالبية مفاصل البلاد الأمنية والسياسية والاقتصادية والدينية، وهو ما يتناقض مع آباء الأهداف الإستراتيجية التي ينطوي عليها التكتل الثلاثي الجديد بين مصر والعراق والأردن.

اختارت القاهرة الصمت طويلا مع إيران بينما مضت في طريق الرضخ التام مع تركيا والتصدي سياسيا لتجاوزات الأخيرة في شرق البحر المتوسط وليبيا واحتضانها لجماعة الإخوان، على الرغم من أن تدخلات كلاهما تضرر بالمصالح العربية بدرجات متفاوتة، لكن في المحصلة ثمة تهديدات واستقطابات تآثر على دول متباينة.

في ظل التطورات الإيجابية بين النظام المصري والإدارة الأميركية الحالية من المتوقع ألا يظل صمت القاهرة نحو

خروج الإخوان من السلطة سنة 2013 أنهى الكثير من الأحلام التي راхنت عليها طهران للتدخل في الشؤون المصرية

